الفصل الثالث

الميدان الصرفي

إن اللهجات العربية التى نتحدث بها اليوم فى شتى البلاد العربية، ضاربة الجذور فى أصول لغتنا العربية الفصحى، بيد أنها تعرضت عبر الحقب التاريخية المختلفة إلى ظروف إجتماعية وسياسية ومؤثرات بيئية نجم عنها تحور وتغير من وجوه شتى. ويظهر لنا ذلك فى كثير من ألفاظها وأساليب مخاطبتها. وفى مستهل هذا الفصل أعرض إلى صيغ الإسناد التى حوتها لهجة الحمر كي نستجلي ما اعترى بعضها من تغيير عند الإسناد إلى الضمائر.

المبحث الأول: بنية الفعل فى لهجة الحمر

يطابق تصريف الفعل الصحيح السالم عند الحمر، الصيغ العربية، بصفة عامة. وعند نطق ماضى الفعل الصحيح السالم نحو شرد، يقولون: "البعير شَرَدْ" بالضغط الشديد على المقطع الأخير على الدال الساكنة. والمضارع لديهم "يشرد" والأمر "اشرد" وعند الإسناد إلى تاء الفاعل بشقيه (ضمير المتكلم والمخاطب) يقال: شَرَدِتْ وتكون الحركة على الشين فى بادئة الفعل خفيفة وتقارب لحد ما صوت الضمير البارز للمؤنث فى اللغة الإنجليزية "she" مع ملاحظة ترقيق الراء فى كل التصاريف السابقة للفعل المذكور. والنطق على هذه الشاكلة سائدٌ فى بلاد الأردن وسوريا وجُل نواحى الشام إذ عاشرت أولئك القوم زمناً مديداً إبان ترحالى خارج الوطن ومن الملاحظ أن البون هنا طفيف بين هذا النطق اللهجى والتركيب الفصيح الذى تكون فيه تاء الفاعل مضمومة مع المتكلم مذكراً كان أم مؤنثاً ومفتوحة للمخاطب ومكسورة للمخاطبة. أما الإسناد إلى ألف الاثنين فقد اندثر فى لهجة الحمر واللهجات السودانية، بل صارت اللهجات العربية الحديثة تخلو من هذه الصيغ، فأضحى من المألوف أن نسمع مثلاً عبارة "الزوجين اشتروا أثاث فاخر." ولذلك تعليل فى نظرى فقد يعزى حذف التثنية والاستغناء فى صيغ المثنى فى الفعل لما ألمّ باللغة العربية من ضعف فى عصور التردّى والانحاط التى أطبق ديجورها على أمة الإسلام قاطبة. إضافة إلى ذلك فالعرب كانوا يتغاضون فى مواضع بعينها عن هذه الصيغ لضرورات ودواعٍ بلاغية، ولكن هذا لا يُعد معياراً نعوّل عليه فى تبرير إغفال الإسناد إلى ألف المثنى ولما كان القرآن هو المعجزة التى بهرت العرب بقوة البيان وطلاوة المنطق فقد حوى هذا النمط من الأساليب.

جاء في سورة الحج : (هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ)[1] وفي سورة الحجرات

(وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا)[2] والأصل أن يقال: خصمان اختصما، وطائفتان إقتتلتا. بل قرأ على هذا القياس ابن إبى عبلة وأبو المتوكل[3]. وأقتتلا قرأ بها عبيد بن عمير وزيد بن علي[4] وذلك على تأويل الرهطين أو النفرين. أما القولة الشائعة "اقتتلوا" فقد حمل فيها على المعنى دون اللفظ لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس. ومن الملاحظ أن هنالك ضرورة نطقية نستطيع أن نستنبطها إذ أن لفظ "اقتتلتا" مستثقل ومتعارض مع الذوق العربى الذى لا يستسيغ تتابع أربع حركات دون سكون يعترضها ومن ثم كان الاستغناء عن تثنية الفعل توخياً لأسلوب سلس متناغم مع نسق العبارة كىّ لاتفقد الجملة طعمها البلاغى. وحرية التعبير هذه تستدعى أن نتأمل فى أسرار القرآن الكريم.

أنتقل بعد هذا العرض إلى إسناد الفعل الصحيح السالم إلى واو الجماعة لدى الحمر. فهم يقولون فى الفعل "شرد" عند الإسناد "شردوا" ونطق الشين هنا – كما أسلفت فى بدء هذا المبحث – تكون الحركة عليه خفيفة مشابهة لصوت الضمير الإنجليزى "She". وتكون الراء مفتوحة مرققة وتنطق واو الجماعة مطابقة للفظة الإنجليزية "doo". وهذا الضرب من النطق سمعته فى أرياف وبادية الحجاز خلال حلولي بها. أما إسناد السالم الصحيح إلى ناء الفاعلين يكون مطابقاً للنهج الذى يصاغ به فى الفصحى بيد أن الحمر وناطقى العربية بالسودان يرققون الراء فى نحو "شردنا" وتنطق نون النسوة عند إسناد الأفعال، ساكنة بحيث يطابق الصوت فى لاحقه الفعل كلمة "دنْ" ساكنة وأعنى بها الزق الذى تسكب فيه الصهباء. وتلفظ الشين على النسق الذى وصفته فى الفقرات السابقة . ومن الثابت فى اللغة، أن الفعل المهموز يعامل كالسالم عند إسناده للضمائر المتصلة إلا فى ألفاظ قليلة شذت عن القاعدة. وتصرّف الفصحاء فى بنائها اللفظى حين أسندوها إلى الضمائر، وهي: أخد وأكل وأمر وسأل ورأى. وبنظرة فاحصة إلى لهجة الحمر يتبين لنا أن الفعل (أكل) أكثر هذه الأفعال شيوعاً لديهم. والحمر عندما يسندون هذا الفل الصحيح مهموز الفاء إلى ضمير المتكلم يقولون: (أني كليت)

---

[1] سورة الحج آية ١٩.

[2] سورة الحجرات آية ٩

[3] معجم القراءات، ج٦، مرجع سابق، ص٩٤.

[4] المرجع نفسه، ج٩، ص٨٠-٨١.

فـهـم يـحـذفـون همـزة القـطـع مـن الـفـعـل ويـلـحـقـون يـاء قبل ضمير المتكلّم تنطق بإمالة صغرى مطابقة لكلمة (Lay) الإنجليزية. ووجه التعليل لذلك – فى نظرى– أن بنية الفعل فى العربية تقتضى أن يكون ثلاثياً في الغالب. ومما يجدر ذكره أن قبائل دار حامد والبزعة والمعاليا والزيادية تنطق هذا الفعل على هذه الشاكلة. وقد سمعت هذا النطق عينه من بعض أهل الريف من سكان الجزائر فقد ألفيت فى الحجاز امرأة فى طاعنة فى السن من قطان تلك البقاع، وقد تاهت فى شعاب مكة ولم تدرك الركب بوادى عرفة وثوت لاغبة بجوار والدتى فى معرّسنا فبذلتُ لها العونَ مواسياً. وطفقت أحادثها وأقدم لها بعض الطيب من الطعام فاعتذرت قائلة "أنا كليت الغلب يا ولدى" وتطّرد صياغة مهموز الفاء على هذا المنوال عند بدو عسير ويام بالبلاد السعودية، وكثيراً ما تدور فى ألسنتهم عبارة "خذيت لى" أغراض " أي إشتريت حوائجى" وينطبق هذا الضرب من الإسناد على ناء الفاعلين فى لغة الحمر إذ يقولون "كلينا" ومما يلاحظ أيضاً تسهيلهم لفاء الفعل عند الإسناد إلى واو الجماعة إذ يقولون فى المضارع "العيال ياكلوا" بتسهيل الهمزة مع حذف نون الأفعال الخمسة تخفيفاً دون مسّوغ آخر. ويعد هذا سمة بارزة في لهجة الحمر واللهجات السودانية قاطبة ويعزى للفارق بين مقررات النظام اللغويّ ومطالب السياق الكلامي الاستعمالي. وفي الماضي يقول الحمر: "الضيفان كلوا" بحيث تنطق لاحقة الكلمة مطابقة للفظة الإنجليزية "Low". وهنا شذّت هذه اللهجة عن الإسناد القياسيّ لهذا الفعل إلا أنها تطابقه فى إسناد صيغة الأمر فيقول الحمرى مثلاً "كلوا يا عيال" وتنطق لا حقة الكلمة بتخفيف طفيف وتطابق لفظ (Clue) الإنجليزية التي بمعنى "مفتاح اللغز "وصياغة الإسناد هنا صائبة فصيحة. ومقتضى القياس أن يقال فى أكل ونظائرها من الأفعال: أوكل أوخذ أومر والأصل أأْكل أأْخذ أأْمر– بهمزتين الثانية ساكنة والأولى مضمومة، فتقلب الثانية واواً، ولكن العرب التزموا فى الأمر حذف الفاء سواء فى أول الكلام أو فى درجه.[1]

ومما جاء فى القرآن الكريم: **(يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)**[2] وتتجلى لنا استقامة لسان بدو الحمر وجلَ الأبالة بكردفان فى

---

[1] د. محمد عبدالخالق عظيمة: المغني فى تصرف الأفعال، القاهرة، ص١٧٧–١٧٨.

[2] سورة الأعراف، الآية ٣١.

نطقهم الصحيح لصيغة الأمر من الفعل أكل "كل" "كلى" (بالبناء على السكون فى الأول والبناء على حذف النون فى الثانى) . وينحو الحمر إلى حذف فاء الفعل المذكور آنفاً وإمالته عند إسناده إلى الضمير المستتر إذ يقولون مثلاً "الضيف كَلي الزاد" ويمال الفعل كلى إمالة صغرى بحيث تتطابق لاحقته الفعل الإنجليزى (Lay) وجلّ ناطقى العربية من أهل السودان ينطقون هذا الفعل بصيغة هى أقرب إلى العربية الفصيحة فى نظرى إذ يقولون: "الضيف أكل الزاد" بتسكين الفعل الماضى. وسمعت من الحمر من يقول: "الراعى مرق الزاد وكلاه" بمد طفيف جداً للألف التى تسبق ضمير الغائب. والرعاة قد اعتادوا على التزود بالطعام وهم يجوبون تلك البوادى الشاسعة ومن الملاحظ هنا، أنهم قد استخدموا الفعل "مرق" متعدياً. وقد ورد فى لسان العرب لازماً ومتعدياً فيقولون: مرق السهم من الرمية. أي نفذ فيها فدخل من جهة وخرج من الجهة المقابلة.[1] ويقولون فى المتعدى: مرق الفارس قرنه بالرمح: أى عاجل بطعنة نجلاء حتى اخترق الرمح جسده.[2] أمّا عند الإسناد إلى ضمير الغائبة يقولون: "الراعى مرق الكسرة وكلاها" والشاهد فى كلاها بحذف همزة القطع وإلحاق ألف المد قبل هاء الغائبة ومما يرد فصيحاً على ألسنة الحمر وكثير من ناطقي العربية من أهل السودان، استعمالهم لبعض الأفعال المضعّفة الثلاثية فى صيغة الماضي والمضارع خاصة نحو رش يرش وفى الأمر يقال رش "بالعدول عن الشدة إلى السكون" ولا مسوغ لذلك فى نظرى إلا التحقيق. ومثل ذلك جر يجر وضم يضم .وكلها تندرج فى باب نصر ينصر. ولكن إذا دققنا النظر فى تصاريف المضعف الثلاثى عند الحمر نجدهم لا يلتزمون تلك الصيغ باطراد فى بعض الأفعال، إذ يقولون: هد يهد وشد يشد وهب يهب وكذلك سد يسد بكسر الفاء فى المضارع. ويعنون بالفعل الأخير أوصد الشئ كالباب مثلاً. لكن زنة العرب الفصحى لهذا الفعل تأتى بضم الفاء فى مضارعه. بيد أن العرب استخدمت هذا الفعل (سد يسد) لتعنى مفهوماً مغايراً. فالفعل سد "يسد سداداً وسدوداً" بمعنى صار الشئ سديداً قوياً ويقال هو يسد فى قوله أى يصيب. ومنه أيضاً "سد يسد سدداً" إذا استقام الشئ على اتجاه سديد فهو أسد.[3] والمعنى عينه طرقه أبوبكر الصديق فى خطبته العصماء حين. استهلها قائلاً: "أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست

---

[1] القاموس المحيط، مرجع سابق، ج٣، ص٢٨٢. مادة "مرق".

[2] الهادى إلى لغة العرب، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٥. لسان العرب، مرجع سابق، ج١٠، ص٣٤٠.

[3] المرجع نفسه، ج٢، ٣٢٨،

بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني" [١] ومجمل القول إن منحى الحمر وناطقي العربية من قبائل السودان في العدول عن صيغ المضاعف المعهودة يعد فى نظرى نهجاً لهجياً محضا لإيثارهم كسر فاء الفعل المضارع فى المواضع التى ذكرتها آنفاً والكسر أيسر من الضم. ولنهجهم هذا نظائر فى كلام العرب فقد ورد فى المصباح أن من لغة بنى أسد قولهم: جفّ الثوب من باب تعب. وهذا الفعل فى الفصحى من باب ضرب.[٢] والكلابيون يقولون: "غشّ قلبه يغِشّ" أى انطوى على ضغينة وحقد دفين. وقد كسروا العين فى المضارع، وهذا الفعل فى الفصحى من باب فعل يفعُل– بفتح العين فى الماضى وضمها فى المضارع. أى غشّ يغُشّ.[٣] ومثل ما جاء عن بنى كلاب فى رواية ليعقوب بن السكيت "غلّ على صدره يغِل غلا" بكسر العين فى المضارع[٤]، وجاء هذا الفعل بضم العين أيضاً، وذلك فى قول النبى صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن، إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم" فإنه يروى لا يغل ولا يغل بكسر العين وضمها.[٥] وممّا شاع استعماله لدى الحمر من الأفعال الثلاثية المضعفة "مد وقص" فيقال "فى الأمر "مِدْ" بكسر فائه وتسكين آخره تخفيفاً. ويقال لديهم أيضاً "قص" بضم فائه وتسكين آخره. ومن صيغ الأمر التى ترد على ألسنتهم أيضاً "مدّد" و "قصّص" . والحمر هنا فيما أرى أنهم حذفوا همزة الوصل التى تتصدر فعل الأمر واستعاضوا عنه بتشديد العين مكسورة. والفعل الثلاثى المضعف إذا أسند إلى الضمير المستتر جاز فيه الأمران: الإدغام والفك، إذ نقول"مد وقص أو امدد واقصص" والإدغام لغة بنى تميم، والفك أكثر إستعمالاً وهو لغة الحجاز[٦]، قال تعالى: **(وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)**[٧] وفعلا الأمر "مدد، وقصص" فى اعتقادى يقاربان إلى حد كبير نهج الحجاز لتكرار عين الفعل ولامه فيهما.

---

[١] أحمد زكي صفوت (١٩٦٢): جمهرة خطب العرب، ج١، ط٢، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ص١٨٠.

[٢] أحمد علم الدين الجندي: اللهجات العربية في التراث، ج٢، الدار العربية للكتب بليبيا، ص٥٨١.

[٣] المرجع نفسه، ص٥٨١.

[٤] المخصص، مرجع سابق، ج١٣، ص١٣٠.

[٥] ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (١٤٢١هـ): سنن ابن ماجة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٥٢١.

[٦] سنن ابن ماجة، مرجع سابق، ص٥٢١.

[٧] سورة لقمان، الآية (١٩).

ومن معانى الفعل مد أيضاً عند الحمر "ارتحل وظعن" ويستعملون قصص بمعنى حز وبتر. وكذلك قصقص. وكل هذا معهود لدى العرب إذ يقال قصّصت الشعر أو الحبل قصيته بمعنى بالغت فى قصه[١]. وربما قال قصقصته وهو أن يؤخذ من طوله شيئاً فشيئاً.[٢] ويتفق المعنى لديهم والعربية الفصحى فيما ترمى إليه كلمة "قص" من سرد لحكاية أو تتبع بتفرس لأثر ما. ويقول الحمر ومتحدثو العربية من أهل السّودان عند إسناد المضعف الثلاثى لواو الجماعة الرجال "مدوا الحبال "[٣]والعبارة الموافقة لنهج الفصحى.

أمّا قولهم (النسوان مدن الحبال) فلا ريب أنه شذوذ عن القياس وإن ورد فى لهجات العرب ما يشابه هذه الظاهرة فى اعتقادى – إذ أن من القبائل من يتقاضى عن فك الإدغام مع (نون النسوة وناء الفاعلين وتاء الفاعل) ولكن بمسوغ وهو حذف عين الفعل ونقل حركتها إلى ما قبلها مثل ظلن وظلنا، مما ييسر له نطق الفعل. وهذه لغة بنى عامر.[٤] أما أهل الحجاز (فلغتهم فتح فاء الفعل. قال تعالى : (لونشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون)[٥] وعند إسناد الفعل المضعف الثلاثى إلى ناء الدالة على الفاعلين ينتهج الحمر وناطقو العربية فى السودان أسلوب المخالفة وهى أن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى صوت لين طويل "واو المد أو ياء المد أو ألف المد" فيقولون فى مددنا مدينا.[٦]

والحمر كغيرهم من متحدثى العربية بالسودان إذ ينطقون الفعل المضعف الثلاثى بإدغام إذا أسند إلى ضمير المخطاب والغيبة فيقولون مثلاً، "لا يغرك مالك" . وقرئ فى الذكر الحكيم بالإدغام والفك وقال تعالى: **(فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ)**[٧]، وقال أبوحيان: "قرأ الجمهور "فلا يغررك" بالفك وهى لغة أهل الحجاز[٨] وقرأ زيد وعبيد بن عمير "فلا يغرَّك" بالإدغام مفتوح الراء وهى لغة تميم[٩].

---

[١] الهادى إلى لغة العرب، مرجع سابق، ج٣، ص٥٢٦. لسان العرب، مرجع سابق، ج٧، ص٧٣، مادة "قصص".

[٢] المرجع نفسه، ج٣، ص٥٢٦.

[٣] محمد محي الدين، دروس فى التصريف، عبدالحميد، طبعة بولاق – القاهرة، ص١٤٥.

[٤] المرجع نفسه، ص١٤٥.

[٥] سورة الواقعة الآية ٦٥

[٦] لهجة قريش، مرجع سابق، ص١٢٥.

[٧] سورة غافر، الآية (٤)

[٨] البحر المحيط: ج٧، مرجع سابق، ص٤٤٩.

[٩] لغة تميم: مرجع سابق، ص٤١٩.

وفك التضعيف كثير جداً فى النصوص القرشية وهو السمة الغالبة على القرآن الكريم. فقد ورد فكه فى أثنين وخمسين فعلاً، ولم يرد الإدغام إلا فى خمسة مواضع[١].

ونستنبط من هذا العرض انَّ لهجة الحمر توافق لهجة بنى تميم فى إدغام المضعف عند إسناده للضمائر التى ذكرتها آنفاً.

الإعلال هو التغيير الذى يطرأ على حروف العلة "الوار، الألف، الياء" بحيث يؤدى هذا التغيير إلى حذف الحرف أو قلبه أو تسكينه[٢].

وإذا دققنا النظر فى الفعل المثال فإن الحمر وعامة أهل السودان لا يلتزمون إعلاله بحذف حرف العلة من مضارعه فيقولون: "وعد يوعد" ، "وزن يوزن" ، فخالفوا بذلك التصريف المألوف لهذا الفعل لأن القاعدة الجارية فى ذلك أنّ يقال: "وعد _ يعد" "وزن – يزن" وذلك لإستثقال العرب وقوع الواو بين ياء وكسرة فحذفوها . ولا تحذف الواو إلا بشرطين أن يكون حرف المضارعة مفتوحاً وأن تكون عينه مكسورة أعد . يعد[٣].

ولكن من الملاحظ أن الحمر وكثير من ناطقى العربية بالسودان يلتزمون القاعدة السابقة فى الفعل "وقع" إذ يقولون فى المضارع "يقع" وأصلها "يوقع" ولما كانت القاف من حروف الحلق فتحوها كما فعل العرب فى هذا الفعل. وأضرابه مثل "وهب– يهب، ووضع– يضع" وأصلهما "يوهب . يوضع"[٤].

والإعلال بالحذف يكون قياسياً مطرداً فى كل فعل ثلاثى مثال مفتوح العين فى الماضى مكسورها فى المضارع إذ يجب حذف حرف العلة من مضارعه وأمره[٥]. غير أن الحمر لا يصيغون الأمر طبقاً لهذه القاعدة بل يقولون فى الأمر مثلاً: أوزن بدلاً عن "زن".

ولهجة الحمر واللهجات العربيّة فى السودان تتفق واللغة الفصحى فى وجوه كثيرة من بناء الفعل، من ذلك ما يحدث للفعل الأجوف من الإعلال بالقلب مثل: قال ومال وأصلهما "قول" و"ميل" . والقاعدة التى تسرى فى هذه الحالة هى قلب الواو والياء[٦].

يقول ابن مالك:

---

[١] لهجة قريش، مرجع سابق، ص١٠٥.

[٢] أنطوان الدحاح (١٩٨٠م): معجم قواعد اللغة العربية، ط١، ج٢، بيروت، ص١٩٩.

[٣] الصيمري، محمد عبد الله بن علي: التّبصرة والتّذكرة، ت. د. فتحي أحمد مصطفى، ط١، ج٢، دار الفكر، دمشق، ص٧٤٥

[٤] المرجع نفسه، ص٧٤٦.

[٥] المرجع نفسه، ص٧٤٧-٧٤٨.

[٦] عباس حسن: النحو الوافي، ط١٣، ج٤، دار المعارف، القاهرة، ص٧٥٧.

لِسانٌ صَحَّ أَنْقلْ التّحريكَ مِنْ

ذآ لِينٍ آتِ عَيْنِ فعلٍ كأبِنْ[1]

ومن القواعد الصرفية التى جرت على ألسن الحمر وناطقي عامية السودان ذات الأصول العربية، إعلال الفعل المضارع الأجوف بالتسكين، إذ تعلّ الواو والياء لديهم بالتسكين إذا تحركت الواو بالضم نحوم يقوم وأصلها "يقْوم" والياء بالكسرة نحو يبيع وأصلها (يبْيع، وينطبق هذا على الأفعال التى تتوفر فيها الشروط المذكورة سابقاً إذ صاغ على النسق. ولكن الحمر وجُل ناطقى العربية من قطان السودان ، لا يعلّون الأمر من الفعل الأجون بالحذف بل يقولون: قُوم- بِيع- سِير وكان قياسها أن تعتل بالحذف، إذ تحذف الواو والأف والياء متى كانت ساكنة نحو قمْ، (قُوْم)[2].

وتعليل ذلك فى نظرى أن هولاء القوم نطقوا هذه الأفعال بإشمام دون التقيد بالشروط والأحوال التى تشم فيها العرب هذا الضرب من الأفعال، أو ربما أشبعوا حرف العلة التى هى عين الفعل ومع مرور الأيام تطور نطق هذه الأفعال حتى صارت تنطق دون أن يعتريها أي تغيير، وأضحت بنية سطحية شائعة لديهم.

وعند إسناد تاء الفاعل إلى الفعل الأجوف يحذف الحمر وجل الأبالة بغرب السودان، حرف العلة، ولكن تنطق الكلمة بطريقة مغايرة لكل اللهجات السودانيّة ومطابقة للهجات بلاد الشام إذ يقولون فى قام وباع: قُمِتْ وبِعِتْ بضم فاء الفعل فى الواويّ وكسره فى اليائيّ مع إمالة لام الفعل وتطابق اللاحقة نطق (it) الضمير لغير العاقل فى اللغة الإنجليزية.

من الأفعال فى لهجة الحمر التى لم يطرأ عليها عند الإسناد إلى الضمائر اختلاف كبير مع الفصحى إلا فى وجوه قليلة، الناقص ولفيف المقرون ولفيف المفروق. ويبدو الاختلاف بيناً عند إسناد هذا الضرب من الأفعال إلى نون النسوة: إذ يقولون: بكنْ، وِعنْ، طونْ بالضغط الشديد على السكون. والأحرى أن يقال وفقاً للصياغة القياسية: بَكيْن- وَعيْن- طَويْن.

وعند نطق هذه الأفعال مجردة في صيغة الماضى، يميلها الحمر بحيث يطابق لامها الحرف الإنجليزى (A) فتنطق "بكي- وعي- طوي" على النحو الذى وصفته آنفاً.

---

[1] ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله (١٩٨٠م): شرح ابن عقيل، ط٢، ج٢، دار التراث القاهرة، ص٣٢.

[2] معجم قواعد اللغة العربية، ج٢، مرجع سابق، ص١٩٩.

والنهج الذى درج العرب على إتباعه عند الإسناد إلى تاء الفاعل هو أن تردّ الأفعال إلى أصولها الواوية أو اليائية . ولكن الحمر ومتحدثى العامية العربية فى السودان يقلبون لام الفعل الناقص مطلقاً ياء عند الإسناد إلى تاء الفاعل ونا الدالة على الفاعلين، بصرف النظر عن أصله واوياً كان أم يائياً.

وبنظرة فاحصة إلى سير لهجات القبائل العربية يتبين لنا أن هنالك قبائل ندّت ألسنتها عن التقيد بالقاعدة الصرفيّة التى ذكرتها سابقاً. فأهل العالية يقولون: "لهيت عنه" وأهل نجد ينطقونها "لهوت" وفقاً للقاعدة ورد فى نوادر اليزيدي أن الحجاز تقول: قلوت البر، وأنا أقلوه قلواً[١]. وتميم تقول قليت البر، فأنا أقليه قلياً. وكلهم فى قلى بمعنى بغض سواء إذ يقولون: قليت الرجل فأنا أقليه قلياً[٢]. وذكر صاحب المصباح "رفوت الثوب رفواً" من باب قتل- ورفيته رفياً من باب رمى لغة بنى كعب[٣].

ورد فى مسند ابن حنبل عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم: "إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب: أنصت فقد لغيت" قال سفيان: قال أبو زناد هى لغة أبي هريرة الذي ينتسب إلى بطن أزد شنوءة من قبيلة دوس. والفعل "لغا" واوي الجذر[٤] وقد ورد مصدره فى قوله تعالى : (**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**) "[٥].

وخلاصة القول إن ظاهرة قلب لام الأفعال ذات الأصل الواوي ياء عند الإسناد لا تقتصر على الحمر وناطقي عامية السودان العربية وحدهم، بل نستنبط مما جرى بسطه سابقاً أن هذه سمة لهجية لقبائل عربية منها دوس وتميم وأهل العالية. ونحا هولاء القوم إلى هذه الصياغة- فى إعتقادى- ابتغاء النطق الأيسر بل منهم آثر فتح عين المضارع إذا كانت من حروف الحلق سعياً لهذا المقصد. ويعد هذا النهج من نتائج نظرية السهولة.

وأود أن أختتم بظاهرة لاحظتها فى لهجة الحمر وهى كسر حرف المضارعة فيقولون على سبيل المثال: "يا بنية كان دايره تِمشى الزرع كلميني" قال ابن منظور عن أصحاب كسر المضارع

---

[١] اللهجات العربية في التراث، ج٢، ص٥٧٣.

[٢] المزهر للسيوطي، ج٢، مرجع سابق، ص٢٧٢.

[٣] المصباح، ج١، مرجع سابق، ص٣٥٩.

[٤] ابن حنبل، الإمام أحمد: مسند لابن حنبل، ج١٣، المكتب الإسلامي، دار الصادر، بيروت، لبنا، ص٧٣٢٧.

[٥] سورة الفرقان، الآية ٧٢.

نحو "تِعلم": هم قيس وتميم وأسد وربيعة[١]. إذ أمعنا النظر فى البناء الصرفي للكلمة فى اللغة العربية يتضح لنا جلياً أن الكلمة تتأثر بتغيير مبناها وأوجه تصريفها. ومع كل زيادة أو تغيير أو تحوير تكتسب دلالة جديدة. ونتيجة للتغييرات التى تطرأ على صيغة جذر الكلمة –بسبب الظروف البيئية والعوامل الاجتماعية والثقافية– نستطيع أن نحصل على العديد من الأفعال المشتقة فى اللغة العربية لأن زيادة المبنى تؤدى إلى زيادة فى المعنى. ويرى بعض علماء اللغة العرب كابن القصاب "المتوفى ١١٧٢م" والصبان "المتوفى ١٧٤٠م" أن اللغة العربية تتضمن خمسة عشر نوعاً من إشتقاقات الفعل[٢].

ومن صيغ الاستعمال الشائعة لدى الحمر مزيد الثلاثى بحرف واحد. والزيادة حرف من جنس عينه فيدغم الحرف مثل "لبّن" أى صار ذا لبن. كقولهم "العيش لبّن". وهم يعنون بذلك السنبل الذى توسط بين الإيناع والنضج وحوى حب غلته مزيج النشا الذى يشبه اللبن. ولكن العرب استخدمت أفعل ليعبر معناها عن الصيرورة، ولتدل على أن الفاعل صار صاحب شئ. من ذلك قولهم: "ألبنت الشاة وأغدّ البعير، وأورق الشجر وأتمر محمد"[٣]. ولتباين الصيغتين فى الدلالة على الصيرورة تعليل فى رأيى، إذ أن الفعل يمكن أن يرد على صيغ مختلفة ويؤدي معنى واحداً. فقد جاءت زنة افتعل بمعنى تفعل نحو ابتسم وتبسّم[٤] قال الله تعالى فى وصف سيدنا سليمان عليه السلام: **(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)**[٥].

ويستخدم الحمر صيغة "فعّل" لتدل على التكثير أيضاً ومن العبارات التي أرهفتُ سمعي لترادها على وجه التحديد، فى بيئتهم قولهم "الإبل موَّتتْ"، إذ يشتد الجدب صيفاً ويهلك أحياناً النعم. ومن العبارات المألوفة أيضاً لديهم ولدى كثير من أهل السودان أن يقال مثلاً:

---

[١] لهجة قريش، مرجع سابق، ص١٤٤.

[٢] د. أحمد موقت (١٩٩٧م): علم اللغة والترجمة، ط١، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ص٦٢.

[٣] عبد الحميد، محمد محي الدين (١٩٥٨م): دروس في التصرف، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص٧١.

[٤] المغني في تصرف الأفعال، مرجع سابق، ص١٢٨.

[٥] سورة النمل الآية (١٩).

ضبّحنا البهائم للضيوف– وقطّعنا الشجر وهم يعنون بضبحنا ذبحنا لأن الضبح فى اللغة صوت يخرج من أجواف الخيل عندما تعدو.

وشواهد فعّل التى تفيد التكثير عديدة. قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ)[١].

وقال تعالى أيضاً: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ)[٢] والتضعيف هنا يشير إمّا لكثرة القاطعات أو لتكثير الحز فى يد كل واحدة من اللائى بهرهن سيدنا يوسف - عليه السلام - بطلعته الوضيئة.

فالجرح كأنه وقع مراراً على اليد الواحدة وشاع استخدام صيغة "فعّل" عند الحمر وجلّ قطان ريف الغرب وباديه للتعبير عن التوجه على نحو ما أخذ من الفعل. فيقولون: "الإبل صبّحت" أي انطلقت فى مسيرها نحو المشرق. وكنّوا عن تلك الجهة بأبرز ما يدل عليها وهو بزوغ الإصباح الذى يمزق حجب الدجى. ونقيض" صبّح" لديهم "غرّب" أي اتجه صوب الغرب.

وقد وردت هذه الصيغ فى حديث التأدّب عند الخلاء، عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهرها، شرّقوا وغرّبوا)[٣] ويطلق الحمر وسكان الغرب على من يوغل شمالاً بأنه "ريّح" ولا شك أنهم أشاروا بذلك إلى أبرز ما يتعلق بتلك الجهة، وهى ريح باردة تعصف من ذلك الإتجاه وهذا الاستعمال عينه سائد في منطقة الكفرة بليبيا.

ولما كان الصعيد فى اللغة هو الأرض الغبراء المستوية عنوا به جهة الجنوب ذات الأديم المعفر بغبرة الطمى ويقولون فلان صعّد أي يمم وجهه صوب الصعيد. قال الإمام الشافعي: اسم الصعيد لا يقع إلا على تراب ذى غبار[٤].

---

[١] سورة إبراهيم، الآية (٦).

[٢] سورة يوسف، الآية (٥٠)

[٣] البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج١، دار الجيل، بيروت، ص٤٨.

[٤] لسان العرب، ج٨، مرجع سابق، ص٢٥٤. مادة "صعد".

مما يماثل صيغ المزيد الثلاثى هذه فى دلالاتها المعنوية، اشتقاق فصحاء العرب لأفعال على النسق المذكور آنفاً . فأطلقوا على من دخل الشام "أشأم" ومن دخل العراق "أعرق" ومن شواهد ذلك قول الأعشى فى مديح المحلّ:

أبا مسمع سار الذى قد فعلتم

فأنجد أقوام به ثم أعرقوا[١]

والشاهد هنا أنجد أقوام، يعنى أنهم دخلوا نجداً وأعرقوا أي دخلوا العراق. وهى تماثل تماماً فى مراميها "صبّح" "ريّح" "صعّد"

ومما هو شائع لدى الحمر صيغة المطاوعة من الفعل الثلاثى المزيد "انفعل" وكم سمعت من البداة وهم ينزون دلاءهم فى الجب عبارة "انقطع الرشا" والرشاء هو شطم طويل يستقى به وتشد به عراقي الدلو. وقد يحذر أحدهم أخاه من الغيبة قائلاً: اندحر من القطيعة. والفعلان "انقطع" "اندحر" زنتهما فى الماضى على انفعل.

ومن نماذج صيغ الرباعى المزيد بحرفين لدى الحمر الفعل "تكفرن" بمعنى هاج وران على هامته قسطل العراك. واشتقاقه من كفر بمعنى غطى.

ومما حوته أيضاً لهجة الحمر زنة "تفوعل" فى الفعل الرباعى المزيد بحرف إذ يقولون: فلان "تقوعر". والكلمة فى نظرى مشتقة من القعر. وقعر الشئ أسفله. يقال: قعر الرجل قرنه إذا قلبه من أسفله وصرعه[٢]. والقعر هو الأصل[٣]، كقولنا: قعرت الريح الشجرة قعراً أى قلعتها من أصلها فانقعرت. فى القرآن الكريم: **(تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ)**[٤] وتقعّر الرجل فى كلامه أخرجه من أسفل حلقه، أو أقصى فمه[٥]. والتقعر والتقعير فى الكلام هو التشدق فيه[٦]. وتقوعر بلغة الحمر تعنى بأن الشخص تحدث مزهواً متظاهراً بما يرتكز عليه من أس المال والجاه.

وقد صاغ العرب بعض الأفعال الرباعية مزيدة بحرف على هذه الزنة مثل تجورب إذا لبس الجراب

---

[١] الواضح في علم الصرف، مرجع سابق، ص١١٨.

[٢] الهادي إلى لغة العرب، ج٣، مرجع سابق، ص٥٤٧.

[٣] الصحاح، ج٢، مرجع سابق، ص٧٩٧. مادة "قعر".

[٤] سورة القمر، الآية (٢٠).

[٥] لسان العرب، ج٥، مرجع سابق، ص١٠٨، مادة "قعر". الهادي إلى لغة العرب، ج٣، مرجع سابق، ص٥٤٧.

[٦] الصحاح، ج٢، مرجع سابق، ص٧٩٧. مادة "قعر".

وتكوثر إذا كثر[١].

قال حسان بن ناشئة:

أبوا أنْ يبيحوا جَارَهم لعدوِّهم

وقد ثَارَ نَقْعُ الموْتِ حتى تكوثرا

وبعد هذا البسط للمعنى نخلص إلى أن معنى تقوعر مطابق فى مضمونه لتقعر بيد أنّ الحمري نحا إلى صيغة تفوعل وهى زنة مألوفة فى كلام العرب.

والحمر يقولون أيضاً على زنة الرباعى السابقة "فلان تقومز" وفعلها قمز. وأصل الكلمة غمز ولكن حدث فيها قلب مكانىّ فى عاميتنا. وفى اللغة غمز الرجل العود بيده أى عصره وشد عليه بأصابع يده وقد يحدث عليه أثراً ويقول زياد الأعجم:

وكنتُ إذا غَمزتُ قناةَ قومٍ

كَسرْتُ كُعُوبَها أو تَسْتَقِيما[٢]

وغمز الحجام الدمل عصره فى جانب منه وشد عليه ليخرج القيح منه. وغمز الرجل التمره شد عليها[٣] بإبهامه وسبابته ليخرج النواة منها وغمز الرجل بعينه إذا أطبقها ثم فتحها يشير بها[٤]. وغمز الرجل على صاحبه طعن عليه وقدح فيه علانية أو تورية بما يعيبه[٥]. وغمز التى ننطقها فى العامية قمز نعنى بها وثب. قال العلامة عون الشريف: أقمز على الراتعات فى النّدو أى خفيف الوثبة على ظهور الخيل مجتمعات. ومما أورده فى معجمه قول الشاعر:

أسد بيشه مكرمش قمزاتو مطابقات[٦]

إذن تقومز الرجل لدى الحمر إذا وثب أو حرك أعلى بدنه بخفة وسرعة من لمزة . حسية أو إثارة معنوية كصوت داوٍ سمعه

هذه قطوف من الأفعال المزيدة فى لهجة الحمر، ونستنبط من سياق النقاش والتحليل بأنها فصيحة الدلالة قويمة السبك ولا تخرج عن صيغ أبنية الفعل فى العربيّة الفصحى.

---

[١] الواضح في علم الصرف، مرجع سابق، ص١٢٧.

[٢] الهادي إلى لغة العرب، ج٣، مرجع سابق، ص٣٤٦. لسان العرب، ج٥، مرجع سابق، ص٣٨٨. مادة "غمز".

[٣] المرجع نفسه، ص٣٤٧.

[٤] المرجع نفسه، ص٣٤٧.

[٥] المرجع نفسه، ص٣٤٧.

[٦] قاموس اللهجة العامية في السودان، مرجع سابق، ص٦٣٢.

المبحث الثاني: صيغ الجمع

إن اللغة العربية من أدق لغات العالم فى الوصف والتعبير عن المعانى. وبمقارنة بسيطة يتضح لنا صواب هذا الأمر وجلاؤه. وفى اللغة الإنجليزية على سبيل المثال تشير الصيغة الواحدة للجمع والمثنى. فكلمة (Sons) قد تعنى الإبنين أو الأبناء، بيد أن السياق يسعفنا على استيعاب المعنى المقصود.

أما لغتنا الفصحى، فتتوفق بما لديها من تفصيل وافٍ لصيغ المثنى بنوعيه وتبيان لأضرب الجمع. وهناك ما يدل على الكثرة ونوع آخر يدل على القلة.

والحديث إلى الجمع يقودنا إلى أنماط عديدة تتعلق بهذا المعنى، من ذلك اسم الجنس الجمعي وقد عرفه القاضى بن عقيل بأنه: "ما يدل على أكثر من اثنين ويفرق بينه وبين واحده بالتاء". كبقرة وبقر وشجرة وشجر وقد يكون الفرق بين واحدة وكثيرة بالياء كروم ورمى وعرب وعربى والفرق بين اسم الجنس الجمعي وجمع التكسير بأن الجموع المكسرة ترد علي زنة معينة معروفة محفوظة ،واسم الجنس الجمعى لا يلزمه ذلك[١] ولدينا اسم الجمع الجمع وهو ماليس له مفرد من لفظه ويكون مفرده من معناه كجمل وناقة[٢]

ومن المعلوم لدنيا أن العرب قد استخدموا صيغاً للتكسير للدلالة على عدد محدد لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد عن عشرة وتلك صيغ جموع القلة. وهنالك صيغ لجمع الكثرة لما زاد عن العشرة إلى ما لا يتناهى[٣].

وبما أن صيغ التكسير هى أكثر الجموع شيوعاً عند الحمر فقد قصدت أن ابتدرها بالبحث والتحليل. ومما ورد على ألسنة الحمر من جموع القلة موافقاً للقياس "أعداد" جمع لعدّ. والعد هو الماء الدائم الذى له مادة لا انقطاع لها مثل ماء العين وماء البئر[٤] وقال الشاعر يصف منهلاً من هذا القبيل:

فوردت عِدّاً من الأعداد أقدم من عاد وقوم عادٍ[٥]

---

[١] ابن عقيل، مرجع سابق، ج١، ص١٥.

[٢] النحو الوافي، ج٤، مرجع سابق، ص٨٠-٨١.

[٣] ابن عقيل، ج٤، مرجع سابق، ص١١٥.

[٤] قاموس اللهجة العامية في السودان، مرجع سابق، ص٥٥.

[٥] المرجع نفسه، ص٥٣٥.

وهنالك كلمات كثر لا حصر لها ينطقها الحمر على هذه الزنة القياسية كأعمام وأفيال.

ومما جاء مخالفاً للقياس لدى الحمر على هذه الزنة غنّام وغنّوم وهذا الجمع مراد به أغنام التى مفردها غنمة وهى واحدة الشاء. ومما يلفت النظر هنا أثر اللغات القديمة كلهجة البجا والنوبة فى لغة هؤلاء البداة النازحين ويظهر لنا ذلك فى إضافة اللاحقة "آية" للكلمات فصارت "غنماية" مطابقة فى بنيتها للكلمات ذات الأصول الحامية مثل إنقاية وهى جزء من رقعة الأرض الزراعية "شلباية" وهو ضرب من السمك النيلى ضئيل الحجم. وهكذا نلاحظ لهجة الحمر واللهجات العربية السودانية عامة عندما انتقلت إلى بيئة جديدة شرعت تتأقلم وتتكيف مع الظروف الجديدة، ونجم عن ذلك إحداث تغييرات كثيرة فى النطق وسمات هذا التأقلم الذى ذكرته ـ فى رأيي عديدة ـ منها اقتراض اللهجات العربية السودانية لأسماء من اللغات النوبية مثل كمبال وكوكو وكاشف وكنة وكرشوم وكاكوم[١]، ونلاحظ أن الكاف من فرط ترداده فى بادئة الكلمة يبدو لنا كأنه حرف تعريف ويشابه تماماً البادئة التى تتصدر الأسماء فى اللغات الحامية الشرقية مثل "أوشيك" التى تعنى الشيخ و"أوهاج" التى تعنى الحاج. وآثار اللهجات المحلية الحامية التى اصطبغت بها صيغ المفردات والجموع فى لهجة الحمر واللهجات السودانية كثر، فمنها ما عومل كاسم الجنس الجمعي كتبش وتبشة وتبس وتبسة[٢]. والتبس هو أنابيش قصب الذرة أو قصب القند التى تضرب جذورها فى التربة. ومنها ما عومل معاملة اسم الجنس الإفرادى مثل كلمة الدعاش[٣] وهو نسيم عليل يضوع من نفح الغبراء عندما يبللها هطل الديم فى مستهل الوسمى. ومن الكلمات المستعارة أيضاً كلمة دبس وهو صداع مزمن[٤].

وإلحاقاً لما سبق ذكره فإنّ من صيّغ الجمع المرادفة "لأغنام" عند الحمر غنّوم وصوابه بإسقاط التضعيف وضم أوله أي "غُنوم"[٥] وسمعت الحمر وبعض سكان كردفان يرددون عبارة: "عندى ليّ غانيماً سارحات فى الخلاء". ولكن الجمع المطّرد عند العرب هو أغانيم[٦] والفرق طفيف كما يبدو لنا فربما أراد هؤلاء القوم التخفيف، ولا غرو فى ذلك فالتخلص من الهمز سائد فى كلام العرب، وها نحن نسمع العرب المحدثين يقولون: نموذج و أنموذج. والجدير بالذكر أن

---

[١] أندلي، محمد كندة (د ت): تاريخ النوبة العظيم قبل الطوفان، ط١، الخرطوم، ص١٨.

[٢] قاموس اللهجة العامية في السودان، مرجع سابق، ص١٣٩.

[٣] دراسات في العامية، مرجع سابق، ص١٦.

[٤] المرجع نفسه، ص١٦.

[٥] القاموس المحيط، ج٤، مرجع سابق، ص١٥٨. مادة "غنم".

[٦] لسان العرب، ج١١، مرجع سابق، ص٩٢. مادة "غنم".

العرب قد جمعت غنمة على أغنام [١]. من الكلمات التى يستخدمها بداة الحمر واندثرت الصيغة العربية الفصيحة للجمع القليل لديهم لكلمة "بو" إذ يجمعونها على بوات خلافاً للصّيغة المطردة المعهودة لدى العرب وهى أبواء والبو فى اللغة هو إهاب الحوار أو العجل يحشى تبناً ويقرب من أمه فتظنه ولدها فترأمه وتدر اللبن[٢]. والحمر وكثير من ناطقى العربية بالسودان يطلقون كلمة "بو" على من به سفه فى لبّه. والعرب تصف بها من يتسم بالنّوك أى الحماقة[٣]. والمعنيان يتسقان فى نظرى، وهكذا خالف الحمر القياس فى جمع "بو" وقالوا أيضاً فى جمعها "بوواو". ومن الصيغ التى خالفوا فيها القياس جمعهم لدلو فقالوا "دلاو" وعدلوا عن الصيغة الصحيحة وهى "دلاء".

ومن الكلمات واوية اللام التى جمعها الحمر على هذه الشاكلة كلمة "فلو" وجمعها فى لهجتهم "فلاو" بيد أن بعض العرب ينطقها بفتح الفاء "فلوٌّ" وحينئذ يكون جمعها "فلاوى" مثل خطايا وأصله فعائل[٤]. قال أبوزيد: إذا فتحت الفاء شددت الواو وإذا كسرت خففت "فلوٌ" مثل جرو[٥]. وجلّ الحمر ينطقونا بالكسر وهم فى رأيى ربما تأثروا فى عصور سالفة إبان هجراتهم بنهج بنى تميم الذين يميلون إلى كسر الفاء فى كلماتٍ عديدة مثل مِعدة ونِقمة[٦]. والفلو هو المهر إذا فطم ومنه فليت الرأس إذا استخرجت منه القمل والنّثار الغريب[٧]. وجمعه سيبويه على أفلاء كعدو وأعداء[٨] وذكر السيرافي أن أبا عمر الجرمي جمعه على فِلاء وفُليّ وفِليّ[٩].

ومن أوزان القلة الشائعة عند الحمر، "أضرع" ومفردها "ضراع" أى ذراع وهذه الزنة نادرة فى لهجة الحمر وكثير ما تشذ ألسنتهم فى جمعها على النسق المذكور. فيقولون مثلاً فى جمع رِجْل ويعنون بها العضو البشرى أو الرافد الذى يصب فى المنهل "رجول". ولم يقولوا على القياس أرجل وكذلك يقولون عناق وهى السخلة إذا أتت عليها سنة أو لم ينز عليها الفحل[١٠] يجمعونها على عنقان

---

[١] لسان العرب، ج١١، مرجع سابق، ص٩٢. . مادة "غنم".

[٢] القاموس المحيط، ج٤، مرجع سابق، ص٣٠٦. . مادة "بوو".

[٣] الصحاح، ج٤، مرجع سابق، ص٢٢٨٨. . مادة "بوو".

[٤] لسان العرب، ج١١، مرجع سابق، ص٢٢٥. . مادة "فلو".

[٥] الصحاح، ج٦، مرجع سابق، ص٢٢٨٨. . مادة "فلو".

[٦] لغة تميم، مرجع سابق، ص٢١٦.

[٧] الصحاح، ج٦، مرجع سابق، ص٢٤٥٦.

[٨] الكتاب لسيبويه، ج٢، مرجع سابق، ص١٩٥.

[٩] التبصرة والتذكرة، ج٢، مرجع سابق، ص٦٦٥.

[١٠] لسان العرب، ج١٠، مرجع سابق، ص٣٠٦. . مادة "عنق".

وهذا مخالف للقياس والصواب أن يقال أعنق فى جمع القلة[١] وقد ورد في قريض الفرزدق حين قال في ذم جرير:

دَعْدِعْ أعنقك التوائم أننى

فى باذخ، يا ابن المراغة عالٍ.

أي تقدم يا جرير لغنمك بتوائمها وادعها ولا تتحدث عن مجدي الباذخ

وكذلك "عنوق" جمع نادر الاستخدام "لعناق" وقد ورد فى المثل "مالك العنوق بعد النوق"[٢] ويضرب لمن انحطت مرتبته بعد الرفعة والثراء. ويطلق العرب على السبب الذى تقتاد به الدابة مترادفات عديدة. والحمر يستعملون منها كلمة "الرسن" خاصة ويجمعونها على رسانة ورسون والصواب أن يقال أرسان (1) وأرسن وأضاف ابن المنظور أن الرسّن ما كان من الأزمّة على الأنف. وورد فى المثل "مرّ الصعاليك بأرسان الخيل" ويضرب المثل للأمر يُسرع ويتتابع[٣].

والحمر يجمعون كلمة بكرة على بِكار. والبكرة من الإبل هى بمنزلة الفتاة الشبة، أما البكر فهو الفتى من الإبل. ويجمع فى القلة على أبكر[٤]. والحمر بل البداة فى غرب بلاد السودان أجمعهم يستخدمون اللفظ المؤنث وجمعهم إياه "بكار" مطابق لما ذكره سيبويه كعيلة وعيال وفرخة وفراخ وشذ جمع بكرة على بَكَر مثل حلقة وحلق[٥].

ويستخدم بداة الحمر السقاء عند ورد الماء ويجمعون القليل منه على أسقية والسقاء ظرف من الأدم الثخين يماثل الجراب يضعه أعراب البادية على متون الدواب لجلب الماء والكلمة فصيحة أنشد ابن الأعرابي:

يَجُبْنَ بِنَا عَرضَ الفلاةِ وما لنا

عليهن إلا وَخْدَهن سِقاءُ

والجمع القليل منه أسقية والكثير أساقٍ ويجمع أيضاً على أسقيات وعدّ بعض اللغويون هذا ضمن الجمع القليل[٦].

إن الجموع المختصة بالكثرة فى اللغة العربية تزيد على الثلاثين ولكن المشهور القياسى منها

---

[١] لسان العرب، ج١٠، مرجع سابق، ص٣٠٦. . مادة "عنق".

[٢] الفرزدق (١٩٩٥): شرح ديوان الفرزدق، ت. إيليا الحاوي، ط٢، ج٢، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ص٣٢٨.

[٣] لسان العرب، ج٦، مرجع سابق، ص١٥٥. . مادة "رسن".

[٤] المرجع نفسه، ج٢، ص١٣٢. . مادة "بكر".

[٥] المرجع نفسه، ج٢، ص١٣٢.

[٦] المرجع نفسه، ج٧، ص٢١٢.

يقارب ثلاثاً وعشرين صيغة. وسأعرض فى هذا البحث نماذج منها ممّا شاع استعماله فى لهجة الحمر.

ومن أوزان الكثرة المطردة لديهم زنة "فُعلان" كحُملان وغُربان والعرب صاغت منها ظُهران جمع لظهر وهو ما ارتفع من الأرض ومن ضروب هذا الجمع كثبان التى مفردها كثيب وهو يفاع من دِعص طري إلا أنهم أى الحمر يجمعون بلد على بلاد وهم يعنون بها الأرض الزراعية خاصة وهذا يوافق لما نظمه العلامة النحويّ ابن مالك فى ألفيته إذ يقول:

فَعَلٌ أيضاً له فِعال ما لم يكن فى لامه اعتلال

أو يك مضعفاً ومثل "فَعَل" ذو التاء و "فِعْل" مع فُعْل فأقبل

أما لدى مجموعة اللهجات العربية السودانية النيلية فتجمع بلد على بِلدات ونشير إلى المعنى المذكور آنفاً عينه وسار الحمر فى نهجهم لجمع الكثرة على النسق المذكور فى بعض الجموع فيقولون مثلاً فى بئر بيار بالتسهيل بدلاً عن الأصل بئار ويقولون دهانة جمعاً لدهن بإضافة تاء التأنيث شذوذاً عن القاعدة المطردة لهذا الجمع. ومن فصيح جموع الكثرة لدى الحمر زنة فعلان إذ يقولون فى قعود قعدان وجراب جربان ونار نيران[١] وهذا ما وافق لما أورده سيبويه فى كتابه: إذا أردت بناء أكثر العدد من "فَعَل" كسرته على فِعلان وذلك جيران وتيجان[٢]

ويضيف سيبويه: (ما كان فَعَلاً إنه يكسرعلى أفعال إذا أردت بناء أدنى العدد وذلك نحو تاج وأتواج وجار وأجوار)[٣] بيد أننا نجد فى لهجة الحمر جموع تخالف هذه الصيغ، فكلمة "خال" تجمع وفقاً للقاعدة المطردة خيلان وأخوال، الأولى فى الكثرة والثانية فى القلة لكن الحمر يقولون (خوال) بإسقاط همزة القطع. وهذا النطق شائع فى اللهجات العربية السودانية.

ومما ورد على الجمع الكثير فى لهجة الحمر زنة فُعَّل مثل قولهم: "لقيت بهائم هُمَّل وبعران شُرَّد" جمعان لهامل وشارد. والهامل يعنون به السائمة التى تند عن القطيع ولا تعود إلى المربد وبداة الحمر عندما يتعهدون صغار البهم بالعناية فى فصل الصيف كثيراً ما يرددون عبارة "نعاج المحل غرّز" والمحل فى اللغة هو القحط والجدب وغرَّز مفردها غارز[٤]. والغارز من الشاء أو النوق ما كانت قليلة اللبن ومن الزنات التى سمعتها على هذا النسق قول بعضهم: "جمل العروس تخطاه

---

[١] الكتاب لسيبويه، ج٣، مرجع سابق، ص٥٩٠.

[٢] لسان العرب، ج٣، مرجع سابق، ص١٢٧. . مادة "جرب".

[٣] الكتاب لسيبويه، ج٣، مرجع سابق، ص٥٩٠.

[٤] لسان العرب، ج١١، مرجع سابق، ص٦١٦."الهادي إلى لغة العرب، ج٣، مرجع سابق، ص٣١٦، "مادة محل".

المخَّض والحمَّل" وجمل العروس أوجمل أم العروس نبت عشبي ناعم تكلله أزاهير جذابة تتفتق عند انهمال الرهام وسمى هذا النبات كذلك فى رأيي لأنّه فى جماله يضاهي محمل البعير الذى يقلْ العروس. ويطهَّم فيه الجمل بخطام مرصع بالخرز وعلى متنه هودج يزدان بالسيور والأحقاء ويعتقد بعض الحمر أن الأنثى التى تكنّ جنيناً إذا مست هذا النبات المذكور فإنها تجهض خديجاً. ولهذا لا مناص من أن "تخطئه"، أى تتفادى مسه. والشاهد هنا كلمتا مُخَّض وحُمَّل- اللتان استدللت بهما- وهما جمعان لماخض وحامل. وهذا الجمع مقيس فى وصف صحيح اللام على فاعل وفاعلة، نحو ضارب وضُرَّب وضاربة وضُرَّب قال ابن مالك وفُعّل لفاعل وفاعلة وصفين نحو عاذل وعاذلة[١].

والحمر يجمعون عرقوة على "عراقوا". وعرقوة الدلو تتألف من خشبتين تعترضان استدارة فتحة الدلو فى هيئة الصليب. والصواب أن يقال عراقي. واستعارتها العرب للتعبير على المصيبة إذ يقال لها "ذات العراقي[٢].

والحمر أيضاً يجمعون ترقوة على تراقو وقد ورد الجمع الصحيح لهذه العظام التى تقع فى أسفل الكتف فى قوله تعالى: **(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ)**[٣]

ومما يلاحظ أن الحمر ومتحدثي اللهجات العربية من أهل السودان يجمعون سكران زنة "فعلان" على سكارى ومثلها كسلان بفتح فاء الكلمة وهذه لغة بنى تميم لأن لغة الحجاز بضم الفاء[٤]. قال يعقوب بن السكِّيت: "وأهل الحجاز يقولون سكارى وكسالى وغيارى بالضمة" وبني تميم يفتحون"[٥] وقد ورد اللفظان فى القراءات القرآنية فقرأ الجمهور باللغة الحجازية وقرئ بلغة تميم فى القراءات الشاذة. "فسكارى" وردت فى قوله تعالى: **(لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ)**[٦]

وقوله تعالى: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ **وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ**

---

[١] ألفية ابن مالك، ج٤، مرجع سابق، ص١٤٨.

[٢] القاموس المحيط، ج٣، مرجع سابق، ص٢٦٤.

[٣] اسورة القيامة، الآية (٢٦، ٢٧).

[٤] لغة تميم، مرجع سابق، ص٢٤٢.

[٥] ابن السكِّيت، يعقوب (١٩٤٧م): إصلاح المنطق، ت. أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، ص١٤٩.

[٦] سورة النساء، الآية (٤٣).

اللَّهِ شَدِيدٌ)[١] وقد قرأهما عيسى على النهج التميمى أى بفتح السين وقرأ الآية الثانية منهما على النهج التميمى أيضاً أبو نهيك و"كسالى" وردت فى قوله تعالى: (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ)[٢] وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى "وقوله تعالى: (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ)[٣] وقرأ بفتح أولهما عيسى.[٤] وهكذا نستنبط مما سبق أن نطق الحمر وغيرهم من متحدثى العربية فى السودان يوافق الصيغة التميمية على وزن فَعالى للجمعين المذكورين آنفاً.

ومن المعلوم أن جمع الكثرة "فعلاء" يطرد فى كلمات منها صيغة فعيل بمعنى فاعل بشرط أن تكون غير مضعفة ولا معتلة اللام.[٥] وهذا الاستخدام يرد على ألسنة الحمر وناطقى اللهجة العربية فى السودان إذ يقولون: كُرما وجُلسا وبخلا وظُرفا ورؤسا بتسهيل الهمزة . غير أنّ الحمر وجل البدو قطان كردفان يستعملون أيضاً كلمة رُيساء ويعنون بها على وجه الخصوص أولئك الأشخاص الذين يتولون الإشراف على قطعان السوائم ورعاتها . وهذا الجمع صحيح وقد ورد فى كلام العرب ومفرده ريّس . يقول ابن السكيت ريّس مثل قيّم بمعنى رئيس. قال الكميت فى قصيدة يمدح فيها محمد بن سليمان الهاشمي:

تلقى الأمان على حياض محمد ثولاء مَخْرِفةٍ ، وذئب أطلس.

لا ذى تخاف ولا لهذا جُرأة تُهْدَى الرعية ما استقام الرّيس

والشاعر فى البيتين السابقين يمدح ويصف ممدوحه بالعدل والإنصاف حتى أن الشاة التى بها ثؤل وتلك التى تبعها خروف تشربان فى المنهل مع الذئب دون أن يجرؤ على مسّهما خوفاً من حرص الممدوح تطبيق العدالة. والشاهد هنا كلمة الرّيس [٦].

والحمر يجمعون لبدة وهى زربية من الوبر توضع بين السرج ومتن الدابة– على لِبد– ويقولون أيضاً حجج جمع لحجة وذلك صحيح لأن الاسم الذى على وزن "علة" جمع عند العرب على

---

[١] سورة الحج، الآية (٢).

[٢] سورة النساء، الآية (١٤٢).

[٣] سورة التوبة، الآية (٥٤).

[٤] ابن خالويه، الحسين بن أحمد: مختصر في شواذّ القرآن، القاهرة، ص٢٦.

[٥] النحو الوافي: ج٤، مرجع سابق، ص٦٥٢.

[٦] لسان العرب: ج٦، مرجع سابق، ص٥٩، مادة "رَأَسَ".

"فِعَل" كديمة وديم وشيعة وشيع وقد ورد نظير ذلك فى قول الشاعر :

لدى أسدٍ شاكي البنان مقاذف

له لبدٌ أظفاره لم تقلّم[١]

وتتجلى بنا أيضاً فصاحته فى جميع الصفات إذ يقولون مثلاً في جمع أعمى عميان، وقد ورد ذلك فى الذكر الحكيم فى قوله تعالى: **(وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)**[٢] ومثله يجمع العرب أسود على سودان.

إن اللغة العربية غنية بالمفردات التى تؤدى المعنى بدقة متناهية تشبع حاجة السامع بل تنفذ إلى أعماق وجدانه . ومن الصيغ التى درج العرب على استخدامها على قلة ، جمع الجموع : وقد وردت مبعثرة فى بعض المؤلفات . وقد نقل صاحب الهمع بعضاً منها مثل أيد وجمعها أيادٍ ومثلها أسماء وأسامٍ وبيوت وبيوتات وأنعام وأناعيم وأقوال وأقاويل وأزواج وأزاويج وأعراب وأعاريب وطرق وطرقات.[٣] وللصبّان رأي بيّن فى ذلك إذ يقول ناقلاً عن شرح الشافية ما نصه : أعلم أن جمع الجمع لا يطلق على أقل من تسعة كما أن جمع المفرد لا يطلق على أقل من ثلاثة.[٤] وأبان الثعالبى""قائلاً" : ليس كل جمع يجمع كما لا يجمع كل مصدر "ومن الجموع التى ذكرها جمالات جمع جمال وأساور جمع أسورة ، مستدلاً بقوله تعالى: **(إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ)**[٥] وبقوله تعالى: **(أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ)**[٦][٧] ويوافق صاحب التذكرة الثعالبى بقوله: "واعلم أن جمع الجمع لا يطلق اصطلاحاً على أقل من ثلاثة مجازاً"[٨] ومن صيغ جمع الجمع عند الحمر أقاويل جمع لأقوال التى مفردها قول . ويعنون بأقاويل ما شاع من الأحاديث التى لم يتثبت الملأ من صوابها . ويستخدم الحمر ومتكلمى اللهجات العربية فى السودان كلمة مصارين ويعنون بها الأمعاء ومفرد الكلمة مصير وجمعها مِصران كقولك رغيف ورغفان أى كلمة مصارين هى من

---

[١] الواضح في علم الصرف: مرجع سابق، ٢٦٢.

[٢] سورة الفرقان، الآية (٧٣).

[٣] الهمع: ج٢، مرجع سابق، ص١٨٣.

[٤] الصبان: حاشية الصبان، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص٢٤.

[٥] سورة المرسلات، الآيات (٣٢،٣٣).

[٦] سورة الكهف، الآية (٣١).

[٧] فقه اللغة للثعالبي: مرجع سابق، ص٤٠٤.

[٨] التذكرة والتبصرة: ج٢، مرجع سابق، ص٦٨١.

ضروب جمع الجمع. وقد سمعت قروياً قاصداً الرحى لسحق غلته يحادث نديمة قائلاً" :عندى أماديد عيش "وبعضهم ينطقها بإبدال الهمزة تاء أى" تماديد "وذلك لا يخالف ما درج العرب على نطقه لأن مدّ جمعها أمداد كأقوال التى تجمعها العرب على أقاويل والمد هو ضرب من المكاييل وهو ربع صاع والجمع أمداد ومدد ومِداد كثيرة ومددة.[١] فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل الصحابة: عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابى فوالله الذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)[٢] والنصيف هنا تعنى النصف .والنصيف فى اللغة خمار المرأة.

والحمر يجمعون عجل على عجول وعجاجيل[٣] وذلك يتفق والصياغة العربية.

---

[١] لسان العرب: ج١٤، مرجع سابق، ص٣٨. مادة "مدد".

[٢] ابن ماجة، الحافظ بن عبد الله بن محمد بن يزيد القزويني (١٤٢١هـ): سنن ابن ماجة، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٣٧.

[٣] القاموس المحيط: ج٤، مرجع سابق، ص١٢، مادة "عجل".

المبحث الثالث: أمشاج من المشتقات

الشقّ فى اللغة هو الصدع. وقد جاء فى محكم التنزيل: **(وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ(١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ)**[١] أى تتفطر الأرض عندما يشقها النبات نامياً بعد ما يسحّ عليها الودق. واشتقاق الكلام هو بناء الكلمات من جذر الكلمة تحمل معنى مغايراً ويقول ابن منظور: هو الأخذ من الكلام يميناً ويساراً . ويقال شقق الكلام إذا أخرجه من مخرج حسن والعرب تقول النساء شقائق الرجال ، أي نظائرهم وأمثالهم فى الأخلاق والطباع.[٢] ولكني قصدت فى هذا المبحث أن أبسط القول فى المصلحات الصرفية المعروفة كىّ استنبط ما طرأ على دلالتها وصياغتها من تغيير فى لهجة قبيلة الحمر.

ومن المشتقات التى تدور بكثرة فى كلام العرب اسم الفاعل وهو اسم مشتق من الفعل على صيغة خاصة ويدل على الحدث وفاعله وقد يكتسب اسم الفاعل فى السياق دلالة أخرى كالزمان كما فى قوله تعالى: **(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)**[٣] وأيضاً المكان كما فى قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)**[٤].

يصوغ الحمر اسم الفاعل من الفعل الثلاثى الصحيح على زنة فاعل وفقاً للقاعدة النحوية المطردة .وعلى سبيل المثال عندما يتحدثون عن السفر بالدواب يستخدمون كلمة زاملة، وهي اسم فاعل من الفعل الثلاثى "زمل" ولأبى منصور الثعالبى تفصيل لذلك فى حديثه عن المطايا والزوامل إذ يقول -: المطية اسم جامع لكل ما يمتطى من الإبل فإذا اختارها الرجل لمركبة على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر فهى راحلة ، فإذا استظهر صاحبها وحمل عليها أحماله فهى زاملة [٥].بيد أن الحمر وناطقى اللهجات العربية فى السودان لا يتقيدون بالأحكام النحوية المعروفة التى تجرى على اسم الفاعل كالحذف عند الإضافة أو الحذف بغية التخفيف. والذى نراه فى كثير من شواهد

---

[١] سورة الطارق، الآيات (١١،١٢).

[٢] لسان العرب: ج٨، مرجع سابق، ص١١٨.

[٣] سورة البقرة، الآية (٧٢).

[٤] سورة البقرة، الآية (٣٠).

[٥] لسان العرب: ج٧، مرجع سابق، ص٥٨، مادة "زمل".

اللغة العربية كقول الشاعر عمرو بن امرئ القيس:

الحافظو (عَورةَِ) العشيرة

يأتيهم من ورائنا وكف

عَورة يجوز أن تجر بالإضافة أو تنصب على المفعولية والنون حينئذ يكون حذفها تخفيفاً لغير الإضافة.[١] ويصفون الشيخ الذى بلغ من الكبر عتياً بأنّه رجل جالس ، والشائع مثل ذلك كثير فى لغتهم وكلام ناطقى العربية من أهل السودان مثل : عالم وفالح. وينطقون اسم الفاعل المشتق من الفعل الأجوف ومهموز الآخر بتسهيل الهمز نحو تايب ونايم وقارى وبادى ، وهذا النهج لا يخرج عمّا حكاه أبوزيد أن من العرب مَنْ يخفف الهمز فيقول قريت ومليت الإناء وخبيت المتاع [٢].ويصاغ اسم الفاعل من غير الفعل الثلاثى لدى هؤلاء القوم على صورة الفعل المضارع وذلك بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ماقبل الآخر ما لم يكن هناك مانع صوتىّ كقول بداة الحمر فى المثل" عَطِي المُلسن قبل المُحسن "أي بادر بإكرام وفادة الضيف الذى يبادر لنشر مثالب الآخرين ونبش نقائصهم قبل النزيل ذى الخلق النبيل الذى يتصف بالإحسان وستر معايب الناس . والشاهد لما ذكرته سابقاً كلمتىّ المحسن والملسن.

أما ما لم يكسر ما قبل آخره لعائق صوتى فى لهجة الحمر مثل : مختار ومشتاق فذلك مطابق للصياغة الفحصى فى اللغة العربية وأصلهما" مُخْتَبِر ومُشْتَبِق "فقلبت الياء فيهما ألفاً لوقوعها متحركة بعد فتحه تطبيقاً للقواعد الصرفية فى الإعلال.

ويشتمل حديث الحمر على الكثير من صيغ مبالغة اسم الفاعل نحو" رِكِّيب "دون تمييز لمن يحذق اعتلاء صهوات ذوات الحافر أو متون ذوات الخف . ونحو سمِّيع ويعنون به من يصدِّق كل وشاية أو نبأ تلتقطه أذناه ومثل ذلك أيضاً سكِّيت الشخص قليل الكلام دون عَيّ.[٣] أما كلمة شرِّيب فيعنون بها من يدمن احتساء الصهباء . ونستنبط بأن هذه الكلمات تراكيب عربية صحيحة على زنة فِعِّيل كصدِّيق وسجِّين التى وردت فى قوله تعالى: **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ)** [٤] ومما عبر به الحمر للمبالغة زنة فَعُول كقولهم" فلان سهوك "أى يتراخى فى إنجاز ما أنيط به من واجب

---

[١] التبصرة والتذكرة: ج٢، مرجع سابق، ص٢٢٢.

[٢] دروس في التصريف: مرجع سابق، ص١٥٤.

[٣] لسان العرب: ج7، مرجع سابق، ص٢١٤، مادة "سكت".

[٤] سورة المطففين، الآية (٨).

والكلمة صائبة من حيث المبنى[١] أما من ناحية المعنى فهى تُنعت بها الريح التى تسفي الثرى وتسهكه.[٢] ومما جاء على هذا النسق قولهم" : نكور "صفة للبقرة التى لا ترأم وليدها كثيراً ولا تكون سلسة القياد على الحلب . ومثل ذلك أيضاً قولهم" فلان كتوم "إذا اعتاد ألا يبوح بما فى طويته من أسرار وقد ورد هذا الضرب من الصيّغ كثيراً فى كلام العرب . يقول عنتر :

ألفى صُدورَ الخيلِ وهى عوابسٌ

وأنا ضَحوكٌ نحوها وبَشُوشُ[٣]

وصيغة المبالغة" فعال "شائعة فى أساليب التخاطب لدى الحمر مثلما هى سائدة بكثرة فى كلام العرب– فها هو حاديهم يلتاع لربعه ويخاطب البرق الذى يقدح صوب الجنوب الشرقي:

داك براقاً قبلى فوق عربى فوق إبلى[٤]

وأيضاً شاعرة بنى سليم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد رتقت من تلك الصيغ نسيجاً بيانياً يمس الشغاف فى بكائيتها التى رثت فيها أخاها المغوار صخراً

حمَّال ألوية هبّاط أودية نحارّ راغية للجيش جرّار.[٥]

وكلمة" برَّاق تطابق فى مبناها الصيغ التى أوردتها الخنساء فى البيت السابق هذه أشهر صيغ المبالغة فى لهجة الحمر والنادر منها زنة فاعول ، كفاروق ولم أسمع منها إلا فاعوم[٦] علم لمذكر ولا ريب إنها قد اشتقت من "الفَعَم"[٧] وهو الامتلاء وكذلك زنة فيعول" كحيسوب "سمعت منها حيمور [٨] علم لرجل.

ويكثر إشتقاق الصفة المشبهة باسم الفاعل فى لهجة الحمر كبخيل وشريف وأعور وشجاع وجبان وهى تدل على صفة ثابتة فى المنعوت، ولو وردتْ على وزن فاعل .كطاهر. ومما يرد على هذا النسق عند الحمر كلمة ماسخ وهذا النوع من الصفة المشبَّهة يلتبس باسم الفاعل وتتميز منه بأنها

---

[١] الواضح في علم الصرف: مرجع سابق، ص١٧٧.

[٢] لسان العرب: ج٧، مرجع سابق، ص٢٨٨، مادة "سهك".

[٣] عنترة ابن شداد (١٩٨٤م): ديوان عنترة، دار بيروت، بيروت، لبنان، ص١٦٢.الواضح في علم الصرف: مرجع سابق، ص١٧٨.

[٤] صديق عباس، النهود.

[٥] الخنساء، تماضر بنت عمر: ديوان الخنساء، مطبعة التمدن، دار الصادر، بيروت، ص٣٨.

[٦] أسرة شهيرة من قرى أم شالاية غرب النهود.

[٧] مختار الصحاح، ج٥، مرجع سابق، ص٢٠١٩. مادة "فعم".

[٨] ناحية قرى خماس.

تشتق من صيغة فَعِل اللازم أو فَعُل وتدل على صفة ثابتة [١].

ومن المشتقات أيضاً اسم المفعول ويصاغ من الفعل الثلاثى على وزن مفعول . ومستور علم شائع فى بيئة الحمر وقد جاءت هذه الكلمة فى قوله تعالى: **(وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا)**[٢].

ومن أمثالهم السائرة" الما عندو شهود مقدود "لأن الشاهد هو الدعامة التى يستند عليها الشاكى فى ادعائه وإلا أصبح كالكير المثقّب الذى لا يورى حتى فتيلة السّراج.

هنالك صيغ فرعية وغير قياسية لاسم المفعول وتدل على المبالغة غالباً كطحين وحميد وذِبح بمعنى مطحون ومحمود ومذبوح.[٣] ومن الصيغ التى لا تفيد المبالغة ولكن يستعملها الحمر– خاصة في سالف العهود– كلمة "جلب"[٤] بمعنى مجلوب فهى كقَنص بمعنى مقنوص وولد بمعنى مولود . والجلب هى الأنعام التى تُجلب لكىّ تباع فى الأسواق.

ويستعمل الحمر وكثير من ناطقى العربية من أهل السودان صيغة فاعل بمعنى مفعول فيقول : "الدكان قافل" " والسعر نازل"وسداد القول أن تكون الصياغة "السوق مُقفَل والسعر مُنزَّل" . وكثيراً ما نسمع الرياضيين يرددون عبارة" الكرة لاعبة "أى ملعوبة . وهذا الاستعمال لا يعد نشازاً ، فقد ورد ما يماثله وذلك مذهب أهل الحجاز.[٥] من ذلك قوله تعالى: **(فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ)**[٦] أي مدفوق وقد عزا الفراء أيضاً صيغة فاعل إلى أهل الحجاز[٧] لأنها هنا جاءت فى محل نعت.[٨] وأيضاً فى قوله تعالى: **(قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ)**[٩]

ووردت أيضاً فى الأثر كلمة ضامن بمعنى مضمون. قضى رسول الله .صلى الله عليه وسلم

---

[١] الواضح في علم الصرف: مرجع سابق، ص١٨٥.

[٢] سورة الإسراء، الآية (٤٥).

[٣] الواضح في علم الصرف: مرجع سابق، ص١٧٩.

[٤] المرجع نفسه، ص١٨٠.

[٥] لهجة قريش: مرجع سابق، ص١٦٢.

[٦] سورة الطارق، الآية (٥).

[٧] لسان العرب: ج١١، مرجع سابق، ص٣٨٧، مادة "دفق".

[٨] اللهجات العربية في تالتراث: ج٢، مرجع سابق، ص١٠٩.

[٩] سورة هود، الآية (٤٣).

على أن على أهل الأموال حفظها بالنهار، وما أفسدت المواشى بالليل فهو ضامن على أصحابه [١].

وإذا انتقلنا للتحقيق من نطق الحمر لاسم المفعول الأجوف من الفعل الثلاثى المعتل العين ، يتضح لنا أنهم يجيئون به على" وزن مفعول " دون إعلال سواء كان يائياً أو واوياً . فيقول أحدهم على سبيل المثال" : أنا مديون" "الولد معيون" "والدكان مبيوع" "والعيش مكيول "وقد نسب علماء اللغة هذا النهج لبنى تميم.[٢] وهو يقوم على إتمام الحروف عند صياغه اسم المفعول وقد ورد ذلك فى شعر رواه أبو الفتح بن جنى ولم ينسبه إلى أحد قال الشاعر

قد كان قومك يزعمونك سيداً

وإخال أنك سيد معيون

وأنشد أبو عمرو بن العلاء وهو تميمى:

وكأنها تفاحة مَطيوبة [٣].

أما صياغة اسم المفعول على النقص من الأفعال التى سبق الكلام عنها فإنه مذهب أهل الحجاز إذ يقولون : مبيع ومدين. وللعلماء الأقدمون وجهتى نظر فى الحرف المحذوف.[٤] وإيضاحاً لذلك أسوق ما جاء فى كتاب "إعراب القرآن "لأبى جعفر النحاس تعقيباً على قوله تعالى: (وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا)[٥][٦] فقال الخليل وسيبويه: حذف الواو لإلتقاء الساكنين، لأنها زائدة وكسرت الهاء لمجاورتها الياء ، فقيل : مهيل . وزعم الكسائى والفرّاء والأخفش أن هذا خطأ . والحجة لهم أن الواو جاءت لمعنى فلا تحذف . ولكن حذفت الياء . فكان يلزمهم على هذا أن يقولوا : مهول . واحتجوا بأن الهاء كسرت لمجاورتها الياء . فلما حذفت الياء انقلبت الواو ياء لمجاورتها الكسرة.[٧] والحمر لا ينقصون حرفاً من اسم المفعول الأجوف الواويّ فيقول أحدهم مثلاً" شُفِتْ ليّا فرس

---

[١] الشافعي، الإمام الشافعي (١٩٤٠): الرسالة، ت، أحمد محمد شاكر، القاهرة، ص٥٥١.

[١] الشافعي، الإمام الشافعي (١٩٤٠): الرسالة، ت، أحمد محمد شاكر، القاهرة، ص٥٥١.

[٢] لغة تميم: مرجع سابق، ص٤٤٣.

[٣] الخصائص: ج١، مرجع سابق، ص٢٦٩.

[٤] لغة تميم: مرجع سابق، ص٤٤٧.

[٥] سورة المزمل، الآية (١٤).

[٦] إعراب القرآن للنحاس، مرجع سابق، ص٢٨٩.

[٧] الكتاب لسيبويه: ج٤، مرجع سابق، ص٣٤٨.

مقوود "وهذا نهج بنى يربوع وهم فرع من تميم . ويرى سيبويه والمازني أن الواوي لا يأتى إلا بالنقص أى الصواب أن يقال" مقود "لكن المبرد أجاز إتمام هذا النوع على النسق الذى ينطقه الحمريّ واليربوعيّ.[١] والفيوميّ يرى أن التمام هو الأصل.[٢] ونلاحظ أن إتمام اسم المفعول اليائى دون الواوي لدى بعض القبائل يمكن تفسيره بأن الضمة لا تثقل على الياء لكنها تثقل على الواو . خاصة وأن بعدها واواً أخرى.

وإذا عرجنا إلى اسم التفضيل عند الحمر يتبين لنا أنه لا يختلف عن الصياغة الفصحى . إذ يكون على زنة أفعل فمن شروط إشتقاقه أن يكون الفعل ثلاثياً. وإلا أُتى بفعل مساعد وبعده المصدر "الصريح أو المؤول "وينطبق ذلك على صيغ التعجب.

وأود أن أشير هنا إلى بعض الأنماط من اسم التفضيل التى لم تتطور فى لهجة الحمر وجل اللهجات العربية السودانية . من ذلك" خير وشر "فالحمريّ مثلاً يعبر قائلاً" زرعى أخير من زرعك "بأمالة الياء فى اسم التفضيل مع إثبات همزة القطع فى أوله . فأصل شر وخير . أشر أخير ولكن لما كثر استعمال هاتين الكلمتين ـ حذفوا الهمزة منهما تخفيفاً ـ ومن هنا كانا فى الفصحى "خير وشر "غير أن الصيغة القديمة ثبتت لدى بعض القبائل العربية ولم تتطور . لغة بنى عامر.[٣] استعملت هذا الأصل ، فقد جاء عن ابن خالوية : أنّ أبا قلابة قرأ قوله تعالى: (سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ)[٤] بفتح الهمزة والشين وتشديد الراء كما ورد فى قول رؤبة "بلال خير الناس وابن الأخير".[٥]

والحمر لا يلتزمون الزنة الصحيحة لاسم المكان إذا كان فعله ثلاثياً مكسور عين المضارع مثل مجلس ومنزل ومركز فيقول معظم البداة وأهل الريف منهم" مجْلس "ومركز وكذلك منزل وخاصة عندما يتحدثون عن منازل الأنواء . وسمعتهم يقولون فى مأوى "مهوى" بقلب الهمزة هاء قال الفراء: إن بعض العرب يقول : مأوى الإبل بالكسر . ولغة العالية مأوى ولكنهم ينطقون اسم الزمان موعد نطقاً صائباً ومطابقاً لما هو متبع. من المعلوم إن القاعدة العامة فى صياغة اسميّ الزمان والمكان من الثلاثى غير المعتل الأول والآخر أن يكون على وزن" مَفعِل "إذا كان مضارعه مكسور العين

---

[١] ابن جني، أبو الفتح بن جني (١٩٥٤): المنصف، ج١، ت. إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة، ص٢٨٣.

[٢] المصباح: مرجع سابق، ص٧٠٥.

[٣] اللهجات العربية في التراث: ج٢، مرجع سابق، ص٦٠٩.

[٤] سورة القمر، الآية (٢٦).

[٥] المختصر في شواذ القراءات: مرجع سابق، ص١٤٧.

، وعلى" مَفْعَل "إذا كان المضارع مضموماً أو مفتوحاً.[١] أما الناقص فيأتى على "مَفْعِل". والملاحظ فى هذين الاسمين أن المضارع مضموم العين. والقياس أن تضم العين فى الاسم الذى اشتق فيه لكن العربي عدل عن ذلك لأنه اكتفى بالفتح والكسر وعلل سيبويه اختيار الفتح دون الكسر فى المضموم المضارع لأنه أخف الحركتين.[٢] وقد تابعه فى هذا التعليل بعض اللغويين كالسيرافى وأبي على الفارسى. وتناولوا بالشرح والتعليل أسماء الزمان والمكان. والمصادر الميمية التى جاءت على ذلك النسق. وإذا نظرنا إلى كلمة مطلع كمثال فنجد أن كسر العين فيها أى "مَطْلِع" نسب إلى بنى تميم، أما أهل الحجاز فيفتحون "مَطْلَع" وقد شاعت اللغة التميمية بدليل أن جمهور القراء قرؤوا بها. قال تعالى: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا)**[٣][٤]. فى حين أن الحجازية لم يقرأ بها إلا فى الشاذ ، فقد قرأ بها الحسن وابن محيصن وعيسى وابن كثير فى رواية شبل. واحتج الكسائى بأنها لغة ماتت فى كثير من لغات العرب.[٥] وإذا قارنا كل ذلك بنطق الحمر لهذا الضرب من الكلمات نستنبط أن نطقهم مطابق للنهج الحجازي إذ يقولون"مُطلع" غير أنهم يضمون الميم فى مستهل الكلمة إلا أن الحمر يلتزمون الكسر فى اسم الزمان" المَغْرِب "مع إبقاء الكسر على الميم أى يقولون" المِغرب "أما كلمة مسكن اسم للمكان فإن الحمر ينطقونها بفتح العين" المسكن "وذلك موافق للقياس أى على زنة" مَفْعَل"، وهى لغة الحجاز كما جاء عن ابن السكيت وأبى زيد فى المخصص.[٦] ولغة الكسر فى مسكن نادرة. وهى لهجة يمنية سجلها القرآن إذ قرأ بها الكسائى وخلف فى قوله تعالى: **(**قَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**)**.[٧][٨]

واختتم عرضى للمشتقات باسم الآلة وهو اسم يؤخذ من مصدر الفعل الثلاثى للدلالة على الآلة

---

[١] لسان العرب: ج١٨، مرجع سابق، ص٥٤. مادة "أوى".

[٢] الكتاب لسيبويه: ج٤، مرجع سابق، ص٨٧-٩٠.

[٣] سورة الكهف، الآية (٩٠).

[٤] لغة تميم: مرجع سابق، ص٤٥٨.

[٥] المختصر في شواذ القراءات: مرجع سابق، ص٨١.

[٦] إصلاح المنطق، مرجع سابق، ص١٢١.

[٧] سورة سبأ، الآية (١٥).

[٨] اللهجات العربية في التراث: ج٢، مرجع سابق، ص٦٠٧.

التى يصنع بها الفعل . وله أربعة أوزان قياسية هى مِفعل ومِفعال ومِفعلة وفَعّالة . وهنالك أسماء آلة سماعية لا يقاس عليها. ومن أسماء الآلة فى مناطق الحمر بل وفى كردفان وربما مناطق وأماكن أخرى. المُترار وأصلها حسب الاشتقاق فى رأيي المِترار أى بكسر الميم على وزن مفعال . وهو ضرب من المغازل اليدوية _ وذكر الأصمعى بأن التر هو الخيط الذى يقدّر به البناء وإن الكلمة أصلها فارسى . ولكننى أرجح رأي اللغويّ أبى العباس الذى أوضح بأن التر هو التحرك .وتُر يا رجل بمعنى تحرك مبتعداً وذلك التعبير شائع فى عامية السودان وفى حديث ابن مسعود الرجل الذى ظُنّ أنه شرب الخمر فقال : ترتروه أي حركوه ليستنكه هل يوجد منه ريح الخمر أو لا قال زيد الفوارس:

أَلَمْ تعلمي أنّي إذا الدهر مسنى بنائبةٍ، زِلتُ ولم أَتَتَرتَر

أى أتحرك وبناء على ما ذكرت فإن كلمة مترار عربية الأصل.[1]

لقد أقر مجمع اللغة العربية صيغة فعالة ضمن أسماء الآلة لكثرة إستعمالها ولأنها صيغت عن أصل عربى فصيح هو صيغة فعال المشتقة للدلالة على المبالغة.[2] ومما اشتملت عليه لهجة الحمر من هذا القبيل من أسماء الآلة كلمة" نَبّال "وهم ينطقونها" نُبّال "وهو فخ ينصب فى السرب الذى اعتادت الفريسة التى يرام اصطيادها أن تسلكه ويكون فى هيئة القوس ، يظهر طرفه فى الأرض ويثبت جيداً . ويعطف طرفه الآخر ـ وفى مؤخرته حبل سهل الانفراط ـ ويدفن أي الطرف ويثبت برفق فى وسط السرب ويُدر عليه التراب يعلوه طعام شهي للصيد . وما إنْ تمسه الفريسة حتى ينفك طرف القوس منطلقاً ومنتصباً بقوة وقد انفرط الحبل فى أحد أشلائه.

ومن أسماء الآلة الفصيحة لدى الحمر. على وزن" مِفْعَل "المحور الذى تكوى به الدواب والمخرز الذى تثقب به الجلود عند تصنيعها . ولكنهم يقولون فى مِرْود" مرواد "أى بمطل المقطع الأخير من الكلمة.

والمرود : حديدة تدور فى اللجام ومحور البكرة وهو أيضاً أداة يكتحل بها والمرود أيضاً المفصل والوتد . والحمر ينطقون أسماء الآلة السالفة الذكر بضم الميم خلافاً للأصل وهو البنية العميقة وصارت البنية السطحية أكثر شيوعاً لأنها مستعملة على المستوى اللهجيّ.

ومما يجدر ذكره بأن لهجة الحمر تزخر أيضاً بالكثير من أسماء الآلة الفصحى غير القياسية هذه

---

[1] لسان العرب: ج٢، مرجع سابق، ص٢٢٠. مادة "ترتر".

[2] مجلة مجمع اللغة العربية (١٩٦٢-١٩٦٣): الدورة رقم (٢٩).

من ذلك الإشفى وهو المثقب الذى للأساكفة. حكى ثعلب أن العرب تقول : إن لاطمته لاطمت إشفى كناية عن شدة بأس الرجل. ومن أسماء الآلة الجامدة لديهم أيضاً الباطية وهى وعاء مجوف من جذوع الشجر تستغله العرب لسقى البهائم.[1]

[1] لسان العرب: ج٦، مرجع سابق، ص٢٦١. وج٨، ص١٠٧. مادة "بطي".

المبحث الرابع: ألفاظ ذات أصول عربية إعتراها التغيير

اشتملت لهجة الحمر على كلمات وعبارات إذا التقطت الأذن وقعها لظنت بأن اللحن قد شابها أو أنها ربما صيغت فى قالب أعجمى ، ولكن ما إنْ نتفكر فى تركيبها اللغوى حتى يتكشف لنا عن أصلها العربى. من ذلك قول الحمري "يا فللك" إظهاراً لجزعه من أمر ما . وفيما أرى أن هذه العبارة تشابه نمطاً من الأنماط اللغوية الفصيحة المستعملة فى اللغة قديماً وهى عبارة "يا للفليقة" ودليل ذلك أن العرب تقولها كالحمر تماماً عند إبداء التعجب أو عند حلول نوائب الدهر ودواهيه . إذاً فالعبارتان تشتركتان فى سمة دلالية واحدة وبنية صرفية متشابهة . كما أن "الفلّ" فى اللغة يعنى الكسر . ويعنى أيضاً القوم الذين حاقت بهم الهزيمة.[١]

العرب تسمى المخبأ أو السرب الذى تستكن به الزواحف خوف الأذى، الجُحر. والحمر يطلقون عليه المجحر بإضافة الميم . ويبدو ذلك كأنه شذوذ عما هو معهود عن القياس . ويعد هذا الضرب من البنى السطحية التى نلحظها فى التراكيب اللهجية ولا ريب أن لغة الحمر تخلو من آثار الفقر اللغوي، أي تزخر بضروب الاشتقاق والترادف والمجاز. وهنالك صيغ شائعة لديهم تبدو عليها سمات الغرابة ، ولكن إذا ابتدرناها بالتحليل لألفيناها عربية الجوهر، ومثال لذلك قولهم "أيواتلك" فأصل العبارة فى نظري "إي والله تلك" وقد فتحت همزة القطع فى حرف الجواب إي فصارت أي، وحذف لفظ الجلالة وترك واو القسم "وتلك" تتألف من اسم الإشارة "تي" ولام البعد وكاف الخطاب .

وسمعت ممن عاشوا مع أهل الوبر في بادية الحمر يصف الناقة بأنها "مِقْليت" ولاحقة الكلمة تتطابق في نطقها الكلمة الإنجليزية (Late) ويعنى بأنها ناقة مقلة فى نسلها[٢]. والمعنى عينه طرقه العباس بن مرداس وفى رواية كثير حيث قال:

بُغاث الطيرِ أكثرُها فِراخاً وأُمّ الصَّقرِ مِقلاّة نذورُ[٣]

وهناك كلمات تحتاج إلى تدقيق لمعرفة فحواها لما طرأ عليها من قلب مكانى مثل "تتنوس" بدلاً عن "تتآنس"، ونخنخ بدلاً عن خنخن .وهنالك أيضاً كلمات اعتراها إبدال نحو "مرحاكة" يراد بها الرحى الذى تسحق فيه الغلال والحبوب بأنواعها المختلفة وأصل الكلمة فى اللغة "الرحى" ولكن

---

[١] لسان العرب: ج١١، مرجع سابق، ص٢٢٢-٢٢٣، مادة "فلق" ومادة "فلل".

[٢] الأستاذ محمد الماحي محمد طاهر، مايو ٢٠٠٨م- الأبيض.

[٣] د. ر. بلاشير: تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق.

الحمر صاغوها على زنة اسم الآلة "مِفْعَلة" ثم تطور المنطق لديهم بضم الميم والوقف بالهاء على التاء المربوطة فى آخر الكلمة والعرب تقول: دارت رحى الحرب لأن فى حومتها يتساقط الصناديد من الجرحى والقتلى من جراء القتال الطاحن.

ويرد كثيراً فى لهجة الحمر قلب همزة القطع لاماً بعد "ال" ونجد هذا الضرب من القلب فى مطلع أهزوجة حماسية شهيرة يترنم بها الحمر:

الجمرة وقعت فى الحزة

الزول بلا اللهل شن عزا[١]

وقد شبّه الشاعر المعضلات الشائكة بالنار تشب فى الإنسان مشتعلة فى معقد إزاره وهى الحزة .حيث يمكن خطر استسرائها فى الجسد كله . ويعقب الشاعر بأنه لا مناص من تجاوز تلك العقبات إلا بتعاضد العصبة وتآزر العشيرة حافظاً على عزتهم ومنعتهم.

والجدير بالذكر أن هذه السمة اللهجية أى قلب الهمزة لاماً كانت فى لغة أهل المدينة إذ يقولون: اللحمر فى الأحمر[٢] وكذلك شائعة فى اللهجات السودانية العربية النيلية فيقولون : اللسد فى الأسد [٣].

ومما يلاحظ أن هناك كلمات اعتراها الحذف فى لهجة الحمر. فكم سمعت فى الحوار من يقول "نِي وياك أخوان "وهنا حذفت همزة القطع من ضمير الرفع "أنا" مع إمالته وحذفت الهمزة أيضاً من ضمير النصب "إياك" وهذا نطق شائع في مناطق طرابلس وسرت بليبيا وسمعت بدوية حمرية تحاور جارتها قائلة "تارك ظنها عمرت"[٤] أي أظنها انطفأت، بحذف همزة الفعل.

ويقولون في أمر الفعل أقعد "أُقد" بحذف العين أي "أقعد" ويكثر الحذف لدى الحمر مع حروف الحلق خاصة مثل قولهم "عندى نبق لونه حمر" أى أحمر وكذلك لفظ "يا خي" يراد بها تصغير "أخى".

ومما لا شك فيه إن هذه الظاهرة تشكل نمطاً لهجياً أثر فى لغات القبائل من عهود سالفة ومثال لذلك ما استشهد به السيوطى لشاعر قديم:

---

[١] الراوي: دوليب محمود دوليب– الأبيض، ٢٠٠٥/٦/١٨م.

[٢] لهجة قريش: مرجع سابق، ص٦٠.

[٣] قاموس اللهجة العامية في السودان، مرجع سابق، ص٢٥.

[٤] حسنية عبد الله الفايق، قرية الدودية بكردفان، ٢٠٠٦/٢/٤م.

كي تجنحون إلى سلم وما ثئرت

قتلاكم ولظى الهيجاء تضطرم[١]

والشاهد كىّ وهى لغة فى كيف. وحكى الكوفيون "سف أقوم" يراد بذلك سوف[٢]. والحذف من سمات اللهجة القرشية أيضاً وقد ورد فى قوله تعالى: (**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**)[٣].

وضرب سيبويه مثلاً للحذف في لغة قريش في قولهم: "أقرئ أباك السلام" إذ ينطقونها: "أقريباك السلام" بتسهيل الهمزة الأولى وحذف الثانية في "أباك".[٤]

---

[١] اللهجات العربية في التراث، مرجع سابق، ج٢، ص٦٧٦.

[٢] شرح الأشموني، مرجع سابق، ج٣، ص٢٧٣.

[٣] سورة الكهف، الآية (٩٧).

[٤] لغة قريش، مرجع سابق، ص٨١-٨٢.